النظرية النفسية في الأدب

م. د. علي جبار جلوب العيساوي
وزارة التربية

Psychological Theory in Literature

DR. Ali Jabbar Chaloop AL- Essawy
Ministry of Educatin
lalysawy40@gmail.com

Summary:
There is no doubt that studies in the psychological field are very numerous, but finding out the impact of the relationship between psychological studies and literature requires repetition in research and investigation. To know the identification between the creator and the recipient, and the extent to which the creator himself identifies with his own world, which is the main guide for him, according to what many psychologists and researchers in this field have reached, and to try to get to know whether the psychological state that affects the writer is considered a wonderful work for us Who (neurosis) referred to by Freud and others who followed it?
Key words: psychological theory, literature, neurosis, the recipient, the impetus.

الملخص:
مما لاشك فيه أن الدراسات في المجال النفسي كثيرة جداً إلا أن الوقوف على أثر العلاقة بين الدراسات النفسية وبين الأدب تستوجب التكرار في البحث والتقصي؛ لمعرفة التماهي الحاصل بين المبدع والمتلقي, ومدى تماهي المبدع نفسه مع عالمه الخاص الذي يُعدّ الموجّه الرئيس له بحسب ما وصل إليه كثير من علماء علم النفس والباحثين في هذا المجال, ومحاولة الوصول إلى معرفة ما إذا تُعّد الحالة النفسية التي تُؤثر في الأديب لتُخرج لنا عملاً رائعاً من (العصاب) الذي أشار اليه فرويد وغيره ممن تبعه.
الكلمات المفتاحية: النظرية النفسية, الأدب, العصاب, المتلقي, الباعث.

المقدمة:

لابد من والوقوف عن كثب على العلاقة بين الأدب وعلم النفس, إذ نجدها عند كثير من النقاد علاقة متداخلة من خلال تواكبها في مسيرة واحدة, وهناك من يؤكد(أن علم النفس والأدب يتناولان موضوعات واحدة, أعني الخيال والأفكار والعواطف والمشاعر وما أشبه)[1] وإذا نظرنا إلى أركان الأدب وهي(الأديب, والعمل الأدبي, والمتلقي أو القارئ) أو كما أُطلق عليه بالثالوث الاساس للنقد الادبي[2] لوجب أن نتحدث عن الحالة النفسية المتعلقة بالمبدع والقارئ, لأنَّ الإبداع يتأتى من الأنفعلات التي تُحيط بالمبدع أو الأديب, والتي كانت تهتم بها سابقاً نظرية التعبير, التي مهدت لوجود الفرويدية, وحاولتْ أن توضّح الأثر الذي يتركه العمل الأدبي في نفس متذوقه[3].

1 – التفسير النفسي للأدب, الدكتور عز الدين اسماعيل, دار غريب للطباعة, ط4, القاهرة, (د.ت) : 12.
2 – ينظر: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي, عبد الناصر حسن محمد, المكتب المصري لتوزيع المطبوعات, القاهرة, 1999م: 2.
3 – ينظر, في نظرية الادب, شكري عزيز ماضي,ط1, دار المنتخب العربي, بيروت– الحمراء, 1993: 133.

وقد يستوجب البحث المرور بالدوافع الأساسية للمبدع(العبقري) الذي يراه أصحاب الشأن إنه إنسان مميز يختلف عمّن سواه, وما تتركه تلك الدوافع التي من ضِمنها الكبت والضغط المجتمعي من أثر في ذلك الفرد لتخلق منه مبدعاً, وكذلك استوجب أن نتلمس التحليل النفسي الأدبي في ظل الأفكار الغربية التي ساعدتْ كثيراً في معرفة جذور المسألة عَبر دراستها من جوانب عِدة, إذ كان لـ(فرويد) ومَن تَبعهُ باع كبير في ذلك, ولا يمكن تجاهل التحليل النفسي الأدبي في ظل النقاد العرب الذي واصلوا الدراسة لمعرفة ما هو مخبأ في جوف ذلك المبدع من طريق ما يصدره من أعمال إنمازت بالجيدة.

ومما لاشك فيه أنَّ الأدب بأنواعه وأجناسه وأشكاله يُعدّ الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية بنوازعها وحالاتها, وقد يكون في النقد العربي القديم شذرات هنا وهناك تتحدث عن التحليل النفسي للأدب والأديب, لكنَّ بعضهم لا يَعدّها كافية لتكون اتجاها مكتملا أو منهجا صريحا[1].

وإذا ما تطرّقنا إلى موهبة الأديب قبل فرويد نجدها تُعدّ موهبة تعويضية, ربما عن أحد أعضاء الجسد أو الحواس التي عند الإنسان, لهذا نجد بعض الأحيان أن الفنافين الكبار قد فقدوا إحدى حواسهم أو أعضائهم, أو يشوبهم تشوّه خَلقي كما كان سابقاً عند الفنانين والأدباء, فالفنان(ديمودوكوس) صاحب موهبة الغناء فاقد للبصر, و(بوب) كان قصيراً جداً, و(توماس) كان طويلاً جداً مقارنة بالرجال الاعتيادين, وقد تكون العاهات نفسية, مثل(بروست) فقد كان عصابياً, فالحالة النفسية التي تعكسها العاهة تجعل من صاحبها رجلاً غير سوي, تتحول إلى طاقة أدبية فنية, وهذا لا يكون مقياساً محدداً للإبداع, فقد يكون الإنسان سوياً يحمل من الإبداع ما هو أفضل, إلا إن القدامى أرجعوا الموهبة والإبداع إلى كونه سد نقص عند الإنسان, وهي حالة من حالات المرض النفسي الإيجابية[2], وهذا ما وجدته في العلاقة الأساسية بين الأدب والنظرية النفسية .

وبعد ما اطلعنا عليه من بداية لمعرفة الموهبة الأدبية, نجد أن محاولات (فرويد) وتلميذه (يونغ) قد أسهمت بشكل فاعل في إيجاد منهج نفسي متكامل من طريق التفسيرات الجديدة للأدب, والتي فرضتْ نفسها على ساحة النقد الأدبي[3] .

والأدب ليس اللغة التي اكتسبناها من طريق علاقاتنا اليومية مع أبنائنا وأقاربنا, والتي تكاد تكون جسداً محنطاً, يعتمد الخطابات المدونة, وإنما هو خطاب متفرد تتمحور جدواه في الإمتاع, وروعته في بقائه؛ لكونه خطاباً زائفاً عن الواقع, ومن هنا يتأتى سحره ومأساته[4].

وبوجود الأدب وجد النقد الأدبي الذي يرى بعضهم أنه قام على أسس نفسية, وأراهم يشيرون بكلامهم هذا إلى أرسطو وكتابه (فن الشعر), إذ تضمن في طياته موضوع التطهير, الذي يقوم على الخروج عن المألوف وما يتركه الشعر من أثر نفسي في المتلقين [5].

الدوافع الاساسية للمبدع(العبقري)

بدأت دراسة العبقرية دراسة موضوعية منهجية بعد الحرب العالمية الأولى, وبدأت دراسة العبقرية وعلاقتها بالفن بعد الحرب العالمية الثانية[6], وأنَّ عملية الإبداع الأدبي قد توّجت من لدن علم النفس بعد الدراسات العلمية المتعدد والمفاهيم

---

[1] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي , زيد الدين مختار, من منشورات اتحاد الكتاب العربي, 1998: 18.

[2] – ينظر: نظرية الادب , اوستن وارن و رينيه ويلك , تعريب: عادل سلامة. دار المريخ للنشر, الرياض, 1992 :102 .

[3] –– ينظر, في نظرية الادب : 134 .

[4] – التحليل النفسي وادب, جان بيلمان نويل : 9 .

[5] – ينظر, في نظرية الادب ,:134 .

6 – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية, احمد عكاشه, ط1, دار الشروق, القاهرة, 2001: 37 .

الجديدة وأصبح لها مميزاتها الخاصة, ومن أهم تلك المفاهيم هو التطرق إلى الإبداع أو العبقرية, والتي يترجمونها بأنها انفعالات ذكية منظمة ينماز صاحبها بقدر أكبر على العمليات التركيبية والتحليل والربط والتنظيم عن بقية الناس[1].

ونجد هناك من يرى العبقرية على أنها ظاهرة نادرة في الحياة, والعبقرية الفنية ما هي إلا محاولة للتغلب على التناقض القائم في أمور التذوق والقيم الفنية للأشياء, إذ إن العبقري هو الشخص الذي يقدم انتصارات في اتجاه مالم تحرزه مثله الغالبية العظمى من أبناء المجتمع[2], وأن البحث وراء المبدع ودراسته نفسياً نجدها قد تصل إلى اتهامه بالجنون فـ(قد أُشتق من علاقته المزعومة بالجن)[3], وهذا ليس بالشيء الجديد, إذ ترجع أصول هذا البحث والتأمل في ذلك المبدع أو ما يُطلق عليه بالعبقري إلى عهد الإغريق, ويطلق عليه أيضا (العصابي), الذي تعرض إلى الكبت من لدن المجتمع بصورة غير اعتيادية[4], فيقولون أن الشاعر به مسّ, أي أنه ليس على شاكلة الآخرين, فقد يكون أكبر منهم أو أقل في الوقت نفسه, واللاوعي الذي يصدر منه هو دون المعقول وفوقه معاً[5].

ويبدو أن جهد فرويد في التحليل النفسي للإنسان وأثر اكتشافه, هما على جانب كبير من الأهمية, وأن حركة التحليل النفسي برهنت على أن معرفة خبايا العصابي أسهل من رفض الأحكام المسبقة المتفوقة على التقديرات العلمية والانطباعات الصالونية, ذلك لأن رقابات الايدلوجية أكثر فعالية وعناء من الكبت الموجود داخل كل فرد[6].

ويُعدّ هدف التحليل النفسي هو الكشف عن الأسباب الخفية للعصابي, الذي يعاني من ضغوطات اجتماعية غير طبيعية, لتخليصه من صراعاته, وبذلك يتم حلّ الأعراض المؤذية التي ترافقه في حياته[7].

وقد يكون هنالك ترابط بين المرض والعبقرية, فهناك مَن وضع رأيين في تكوين العبقرية[8]:

1- إما أنه مُلهم من طريق قوى غريبة .
2- وإما أنه غير طبيعي أو مجنون .

ومنطلقاً من هذين الرأيين يمكن أن نوجز رأي كبار الفلاسفة ومنهم(فرويد) الذي يرى أن أصل الأثر الفني والأدبي يأتي نتيجة المكبوتات داخل اللاشعور الشخصي, الذي تحركه الميولات الجنسية, والذي يعدّها صاحبة ابداعات العقل البشري في كُلّ من ميدان الثقافة والفن والحياة الاجتماعية[9].

وأما رأي افلاطون بالعبقرية التي تنتج الإبداع فنجده يقول: ((إن الشاعر أو الفنان كائن أثيري مقدس ذو جناحين, لايمكن أن يبتكر قبل أن يتلقى الوحي والإلهام, فيفقد صوابه وعقله, أما إذا احتفظ الإنسان بعقله فلن يستطيع أن ينظم الشعر))[10], وبهذا نجد أن افلاطون قد حدد مكانة الفنان وماهيته, ومتى تُطلق عليه هذه الصفة ومتى تزول منه.

وإن مما لخصه افلاطون في نظريته بشأن العبقرية والعبقري بعد أن وضع الشعراء أنموذجاً للفن عامة [1]:

---

[1] – في نظرية الادب :133 .
[2] – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية: 36 .
[3] – التفسير النفسي للأدب: 19.
[4] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب , تيري إيجلتون, ترجمة: احمد حسان, القاهرة, 1991م: 184 .
[5] – نظرية الادب, اوستن وارن و رينيه ويلك , تعريب: عادل سلامة. دار المريخ للنشر, الرياض, 1992: 113.
[6] – التحليل النفسي وادب, جان بيلمان نويل, ترجمة: حسن المودن, 1997: 8 .
[7] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب , تيري ايجلتون, ترجمة: احمد حسان, القاهرة , 1991: 191 .
[8] – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية : 37 .
[9] – ينظر, الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، الدكتور عبد القادر فيدوح، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992: 66.
[10] – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية : 38 .

1- إن الشعراء يتلقون شعرهم من مصدر إلهي مقدس .

2- فقدهم صوابهم وقدرتهم على التنبيه والتمييز في لحظات الإلهام .

3- إن علاقة الشاعر الملهم بغيره كعلاقة الحديد بالمغناطيس, يحركهم فلا يملكون إلا أن يتحركوا, ثم ينتقل إلى قطع أخرى من الحديد فلا تمتلك إلا أن تتحرك بالمثل. وعلى هذا النحو ينقل الشاعر العبقري أثر الإلهام إلى الآخرين حينما ينشدهم شعره, فيطربون من دون أن يدركوا لماذا يطربون[2].

4- لو أن العبقري احتفظ بعقله المميز الناقد, لما استطاع أن يكتب شعراً.

اما دليل افلاطون على هذه النظرية فأنّه يكون على شقين[3]:

الأول: هو أن كُلّ شاعر يتقن نوعاً شعرياً واحداً بذاته, ولو أن المسألة عائدة له لأتقن كُلّ أنواع الشعر بالمران .

والثاني: وهو أنّنا قد نجد شاعراً يجود عليه الزمن فجأة بقصيدة تستحق أن توضع بين الروائع, أي أنه قد جاءه الإلهام لوقت محدد ثم خلفه.

ونلحظ مما ذُكر أن افلاطون يرى أن الشاعر أثناء عبقريته لخلق نصّ, وكأنه قد مسّته قوى خفية, لذلك فأن الناس بَعد افلاطون بدأوا يؤمنون بأن العبقرية إلهام بدون دراسة, ثم بعد ذلك ربطوا علاقة العبقري بالمرض العقلي.

التحليل النفسي الأدبي في ظل الأفكار الغربية

مما لاشك فيه أن هنالك علاقة بين الأدب وعلم النفس, ونلحظ ذلك من طريق الدراسات التي وصلت إلينا من علماء ونقاد استطاعوا أن يبرهنوا على أن الإنسان حزمة من المشاعر والأحاسيس, يتأثر سلبياً وايجابياً بالبيئة التي يعيش فيها, لاسيما الفنان أو الأديب بمسمياته كافة, وتشكل تلك الإرهاصات التي تحيط به تأثيراً مباشراً عمّا ينتجه من نصوص أدبية, والتي أصبحتْ فيما بعد المنظار الذي يدخل منه الناقد النفسي إلى شخصية الأديب.

وإن للغرب باعاً طويلاً في الوقوف على التحليل النفسي للأديب من طريق ما ينتجه من أدب, ولعل(فرويد) هو الأسبق للعمل في هذا المجال, ومن ثم تبعه تلامذته وآخرين, فمنهم من سار على خطاه ومنهم من أضاف ومنهم من فنّد بعض ما جاء به من نظريات وتحليلات وعِلل ارتكزت عليها بعض المفاهيم الفلسفية النفسية في الوصول إلى أن الأديب إنسان سوي أم غير ذلك, فالخوض في هذا الجانب هو الكفيل للوصول إلى نتائج واضحة من طريق الاطلاع على بعض ما جاء به (فرويد) ومن خلفه .

وقد نشاطر من يرى أن علماء التحليل النفسي ليس بالضرورة أن يكونوا نقادا للأدب لمجرد استطاعتهم تفسير الإشارات والرموز التي ترد في العمل الفني, لذلك يرى بعضهم أن فرويد –مثلا– لم يكن مجرد عالم نفساني وإنما كان واسع الاطلاع في الآداب الأوربية فضلا من أنه كان ذا نزعة أدبية[4].

---

[1] – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية : 38 .

[2] – ينظر, مدخل الى نظرية النقد النفسي : 13 .

[3] – آفاق في الابداع الفني رؤية نفسية : 39 .

4 – ينظر: التفسير النفسي للأدب: 17.

سيجموند فرويد

وهو من أعلام مدرسة التحليل النفسي في الغرب, إذ اعترف أن من ألهمه نظريته في التحليل النفسي هم الفلاسفة والشعراء والفنانون, أي أنه يشير إلى الإبداع بمختلف أنواعه ومجالاته, إذ يَعدّه الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية بحالاتها ومتناقضاتها[1].

وأن فرويد قد اتخذ الريادة والزعامة في مجال التحليل النفسي, فقد دخل في دور جديد لم يسبق إليه أحد[2], إذ استطاع أن يرسم للجهاز النفسي الباطني للإنسان خارطة قسّم فيها الإنسان على ثلاثة مستويات[3]:

1- المستوى الشعوري .
2- المستوى ما قبل الشعوري .
3- المستوى اللاشعوري, وهو المستوى الذي تقوم عليه نظرية التحليل النفسي عنده, والتي تنقسم بدورها على قوى متصارعة ثلاث هي: (الهُو: وتمثل الجانب البيولوجي) و(الأنا: ويمثله الجانب السيكولوجي أو الشعوري) و(الأنا الأعلى: ويمثله الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي).

ويرى بعضهم أن فرويد قد انشدَّ إلى عمل التحليل النفسي, في حين أنه كان تائهاً في نظريات متعددة قبل أن يصل إلى اكتشاف المكبوت والمرض العصابي, وتوصله إلى أن الذات مقسومة على نفسها ما بين واعي(شعوري) ولا واعي(لا شعوري)[4].

ولم تعد نظرية التحليل النفسي عند فرويد تعني بالعقل الإنساني ومعرفة خفاياه وعلله؛ بوصفه إنساناً مريضاً, إلا إنها ممارسة لعلاج من يعدّهم مضطربين عقلياً, وهذا لا يتحقق إلا بالكشف عن دوافع اللاوعي عندهم[5].

أما الغرائز التي توصل إلى معرفة تأثيراتها من طريق الدراسة والتحليل, وتأثيرهما في السلوك الإنساني بشكل عام, والأديب بشكل خاص هما: غريزتا (الحُبّ) أو الحياة, وما تمثله من الحاجات النفسية البيولوجية التي يحتاج إليها الإنسان؛ لكونه كائناً حيّاً, والغريزة الثانية هي (الموت) حيث الفناء, التي تقابل الحياة, فأنها غريزة تدفع بالإنسان إلى العنف والعدوان[6].

وفي ضوء ما ذكرناه من تحليل نفسي, ولا شعور, وغرائز منها الغريزة الجنسية, والحلام, والمكبوتات, دخل فرويد عالم الفن والفنانين؛ ليعرض بضاعته السيكولوجية, وقد استطاع بالنظرية والتطبيق أن يوجِد علاقة بين علم النفس والأدب والفن والنقد, إذ تناول بالتحليل النفسي تلك الشخصيات الأدبية وأعمالهم, وعملية الخلق الفني, وكذلك المتلقي[7].

فهناك من قسّم النقد الأدبي التحليلي / النفسي على أربعة أنواع, إذ إنها تعتمد ما تأخذه كموضوع لاهتمامها, إذ يمكنه الاهتمام بـــ :

1- الأديب أو مؤلف العمل .
2- الاهتمام بمضامين العمل .

---

[1] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي , زيد الدين مختار, من منشورات اتحاد الكتاب العربي, 1998 : 9 .
[2] – ابو نواس الحسن بن هاني. عباس محمود العقاد, المكتبة العصرية, صيدا – بيروت, (د.ت): 57 .
[3] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي : 10 .
[4] – ينظر, التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد الى لاكان, ط1, دار الفارابي, بيروت – لبنان , 2004م : 102 .
[5] – مقدمة في نظرية الادب, تيري ايجلتون, ترجمة: احمد حسان, القاهرة , 1991 : 192 .
[6] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 10 .
[7] – ينظر, م . ن : 11 .

3- الاهتمام بالبناء الشكلي للعمل .

4- الاهتمام بالقارئ أو المتلقي .

وهذه الأنواع تصبّ في الوصول إلى معرفة الأديب نفسياً, والاهتمام بما يحيط به, إلا إن النوع الأول يدخل في مجال التخمين وقد لا تصدق الرؤية في الوصول إلى الحقائق المتوخاة من التحليل النفسي؛ لاختلاف قصدية المؤلف بالعمل الأدبي, أما ما يخص دراسة المضمون أو مضمون العمل الأدبي, فقد نصل إلى قيمة محدودة, لأنها تصل بنا إلى الدوافع اللاواعية لشخصية الأديب أو الشاعر, أما قوة الشكل الفني التي تقدم للقارئ, أو المشاهد ما يسميه فرويد (اللذة- التمهيدية) التي ترفع كبته لبرهة قصيرة ويجني لذة محرمة من عملياته اللاواعية, من طريق الاسترخاء في دفاعاته ضد تحقيق رغبات الآخرين[1], أما (القارئ) فله حظوة عند فرويد, إذ لم يغفل في تحليله النفسي له, أو المتعة التي يحصل عليها جراء قرائته للأعمال الأدبية الرائعة, وهنا يكمن الارتباط بين المبدع الذي في تصوره أنه يقوم بصنع عالمه الخيالي ويقدمه بقالب فني إلى ذلك القارئ أو المتلقي, وكأنه يقدم إغراءً محفزاً له على الاستزادة من قراءة اعماله, ويعتمد (فرويد) في تكوين العلاقة بين المبدع والقارئ على ما يربطهما من مواطن مشتركة, توفر لكليهما المتعة, التي يحددها بالعُقد والحصارات, والمكبوتات المخزونة باللاشعور[2].

وهذا ما يحيلنا إلى الاهتمام بالشكل من لدن (فرويد), فهي تدخل فعلاً في تأملاته عن الفن, لكون صورة الفنان كعصابي هي صورة مفرطة التبسيط [3].

ويجب الإشارة إلى أن هنالك اختلافاً بين الفنان والعصابي الحقيقي, إذ إن الفنان يستطيع أن يتخطى عتبة اللاشعور, والإفلات من رقابة الأنا الأعلى محققاً رغباته ومكبوتاته بوسائله الفنية الخاصة به, وبذلك يكون الفنان إنساناً عادياً, وهذا ما لا يستطيع أن يقوم به الإنسان العصابي غير الفنان[4].

وتُعدّ الأحلام عنصراً مهماً في نظرية (فرويد) والتي تكون هي اساساً تحققات رمزية لتمنيات لا واعية, ولعدم التعبير بها مباشرة خوفاً من أن تكون صادمة ومزعجة بما يكفي للإيقاظ, لذا فقد صيغت في شكل رمزي[5], وهي أيضاً تُعدّ وسيلة من وسائل إشباع الرغبات التي قد تكون عصية التحقق في الواقع [6].

ولابد أن نذكر إن ما انماز به (فرويد) عمّن سبقه من الإغريق هو أن الغريزة الجنسية تُعدّ الباعث الأول على الفن, وهذا ما لم نجده عند الإغريق أو الفلاسفة والنقاد في القرن السابع عشر والثامن عشر, إذ إنهم يعدون الباعث الحقيقي للفن هو المحاكاة[7].

ولاشك في أن التحليل النفسي أخذ مأخذه في الوسط الفني سواء أكان في مدرسة (فرويد) أم في غير مدرسة في قارة أخرى, لأن المدارس النفسية في انجلترا وأمريكا لايتوسعون في علم النفس السيكلوجي إلى التطبيق والتعليل والأخلاق

[1] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب : 214 .
[2] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي : 13 .
[3] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب: 215 .
[4] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 13 .
[5] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب : 190 .
[6] – ينطر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 12 .
[7] – ينطر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 12 .

على مثال المدرسة الأوربية, ونذكر باختصار اتباع المدرسة الفرويدية الذين ساروا على خطاه في التحليل النفسي مع بعض الاجتهادات والاعتراضات في بعض الأمور[1]:

ألفرد أدلر: ويعد صاحب مدرسة علم النفس الفردي, ويرى أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيس في نشأة العصاب, وأن الباعث الآساس على الفن هو غريزة حبّ الظهور أو حبّ السيطرة والتملك, وهذا ما يدل على اهتمامه بالجانب الاجتماعي[2].

نورمان ن . هلاند : أحد النقاد الذين تابعو مشاريع فرويد واقتفوا أثره في التحليل النفسي للأديب من طريق الأعمال الأدبية التي تحرك في القارئ تفاعلاً للخيالات اللاواعية وللدفاعات الواعية ضدها[3].

كارل غوستاف يونغ :وهو ممن سار على نهج فرويد في التحليل النفسي للفنانين, في مبدأ اللاشعور بوصفه مظهراً من مظاهر الفن, وقد أضاف عليه نوعاً جديداً أطلق عليه(اللاشعور الجمعي) ويعدّه المنبع الأساسي للأعمال الأدبية والفنية, إلا إنه يرى أن (فرويد) قد غالى كثيراً في إعطاء هذه الأهمية للغريزة الجنسية, التي عدّها السبب في نشأة العُصاب عند الفنانين[4] .

شارل بودوان: من الباحثين الذين استطاعوا أن يفيد من أخطاء (فرويد) في دراسته, إذ استطاع أن يثبت أن التحليل النفسي أدبي, وشرح وتقويم من طريق الحقائق النفسية, والمتابعة الدقيقة لمكونات العمل الأدبي, فهو بهذا يُريد أن يُعيد بناء التراكيب الأساسية الكامنه وراء النص الأدبي, في حين أن (فرويد) كان منهجه في التحليل النفسي يعتمد كلياً العمل الفني ويعدّه وثيقة لمرضه النفسي[5].

شارك مورون : استبعد (مورن) أن يكون الفنان إنساناً عصابياً, أو أن يكون أدب ذلك الفنان كشفاً عن أمراضه النفسية, وإنه لم يقف عند الفرضيات التي وضعت للتحليل النفسي ذاتها, وإنما تجاوزها إلى تنوير الآثار الأدبية وخلق قراءة جديدة لها[6].

التحليل النفسي الأدبي عند النقاد العرب:

دأب النقاد العرب كغيرهم من النقاد الغرب في دراسة الأعمال الأدبية للوصول إلى ما تخفيه في طياتها من نزعات نفسية نستطيع من طريقها أن نصل إلى المبدع وحيثياته وارهاصاته, وما يخفيه من حالات وآثار نفسية معكوسة على عمله الأدبي, إذ يستطيع النقاد أن يدرسوا نفسيات الفنانين من طريق تلك الأعمال, وإبراز العقد النفسية والاضطرابات التي يعيشها الفنان, ومن النقاد العرب الذين كان لهم الفضل في ذلك:

عباس محمود العقاد: وهو أحد المتبنين للدراسة النفسية لشخصية الشاعر أو الأديب, إذ قامت دراسة المبدعين والفنانين عنده على مقومات منها[7]:

1- رسم الصورة النفسية والجسدية.

---

[1] – ينظر, ابو نواس العقاد : 56 .
[2] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 14 .
[3] – ينظر, مقدمة في نظرية الادب: 217 .
[4] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 15 .
[5] – ينظر, م . ن : 16 .
[6] – ينظر, م . ن : 17 .
[7] – المدخل الى نظرية النقد النفسي: 22 .

2- استنباط مفتاح الشخصية.

3- اعتماد الدراسة على منحيين هما: المنحى النفسي الفني والمنحى النفسي الجسمي.

إذ اعتمد العقاد تشكيل الصورة الجسدية الوصف الخارجي للبنية الجسدية وكلّ ما يتصل بهذه البنية من علامات مميزة, وهي ما تسمى(التشخيص النفسي) .

إن للعقاد رأياً خاصاً وذوقاً هو أقرب لمدرسة النقد السيكولوجي, إذ إنها تساعده على تلمس الفوارق النفسية بين شعراء يعيشون في مجتمع واحد وحقبة زمنية واحدة, ويرى العقاد أن النقد النفسي أكثر سعة من المدرسة الاجتماعية والمدرسة الفنية, التي يعمل فيها على كشف الحالة النفسية للفنان[1] .

ولم يغفل العقاد عنصر الجمال في دراسته النفسية للأديب من طريق عمله الفني, إذ نجد الجمال عنده هو انعتاق النفس والجسم من العوائق النفسية والبيولوجية, لذا كان من المنافين للقيود التي كبلتْ النص الأدبي والأوزان التي تحدد مسير الشاعر, فكان مرتبطاً بالحرية والخفة والرشاقة, التي تخضع في بعض الأحيان إلى قوانين وقواعد لاجتناب الفوضى[2], ولم تخلُ الفكرة الجمالية عنده من تعليل نفسي.

محمد النويهي: ويُعدّ من النقاد العرب الذين عملوا على تحليل الأعمال الأدبية؛ لتحليل شخصية الشاعر تحليلاً نفسياً, وهو بهذا قد اقتفى أثر العقاد في الوصول إلى مبتغاه, وقامتْ نظرته على مفهومين: تنفيس الفنان عن عاطفته وتوصيلها للناس, والأخرى: رغبة الفنان في أن ينفس عن عاطفته من طريق إثارة عاطفة المتلقي[3].

وإن نظرية النويهي تهدف إلى إشراك المتلقي بما يعانيه الشاعر من حالة نفسية ويجبره على أن يعيش التجربة التي يعيشها الشاعر أو الأديب بالمرارة نفسها, وهذا ما يقودنا إلى التوجه للمعادل الموضوعي وما له من تأثير في الاشتراك بحالة نفسية واحدة بين الأديب والمتلقي[4].

بعد هذا الإبحار في أروقة التحليل النفسي للفنان, نجد أن النُقّاد باختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم, يرمون إلى هدف موحد وإن اختلفتْ الرؤى, ألا وهو محاولة معرفة ما وراء النص, أو بتعبير أدق معرفة الأديب أو الفنان نفسه, وأن ما وضعتْ من نظريات تآلف بعضهم عليها واختلف الآخر, ساعدت على التوالد تارة والتقاطع تارة أخرى على الوقوف بشكل قريب إلى الدّقة في معرفة نفسية الفنانين والشعراء.

ولابد ان تكون لكل نظرية هناتها واخطاؤها أثناء التطبيق, وهذا ما يتلمسه كلّ مَن يخلف ناقداً واضعاً لنظرية, من طريق ما يقوم به من دراسات متعمقة, وهذا لا يبخس حق النقاد الذين عملوا على أن يضعوا لعلم النفس أُطر وقواعد تساعد مَن ياتي بعدهم على الاستمرار في هذا المجال الوعر.

ولانجزم بوجود النظريات النفسية في الأدب العربي القديم ومحاولة بعض النقاد العرب في العصور المنصرمة على الإتيان ببعض ما توصل إليه النقاد العرب والغربيين في عصرنا الحالي, إلا إن ما موجود من لمسات هنا وهناك تلمح بتداخل النقد النفسي في بعض الدراسات التي كانوا يقيمونها على بعض شعرائهم وأدبائهم, من دون أن يحددوا المصطلحات أو يقعدوا لها القواعد, ولكي لايُبخس حقهم في تلك المحاولات وجب على الباحثين ذكرهم في ميادين البحوث والإشارة إلى ما استطاعوا أن يقوموا به من أعمال تنبئ بوجود أساس للنظريات النفسية, والتحليل القائم على شخصية الفنانين والشعراء .

---

[1] – ينظر, م . ن : 25 .

[2] – ينظر, م . ن: 27 .

[3] – ينظر, المدخل الى نظرية النقد النفسي: 30 .

[4] – ينظر, م . ن : 31 .

قائمة المصادر والمراجع:

1. آفاق في الإبداع الفني رؤية نفسية, أحمد عكاشه, ط1, دار الشروق, القاهرة, 2001م.
2. أبو نواس الحسن بن هاني, عباس محمود العقاد, المكتبة العصرية, صيدا – بيروت, (د.ت) .
3. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، الدكتور عبد القادر فيدوح، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م.
4. التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان, ط1, دار الفارابي, بيروت – لبنان , 2004م .
5. التحليل النفسي والأدب, جان بيلمان نويل, ترجمة: حسن المودن, المشروع القومي للترجمة, 1997م.
6. التفسير النفسي للأدب, الدكتور عز الدين اسماعيل, دار غريب للطباعة, ط4, القاهرة, (د.ت).
7. في نظرية الأدب, شكري عزيز ماضي,ط1, دار المنتخب العربي, بيروت– الحمراء ,1993م.
8. المدخل إلى نظرية النقد النفسي, زيد الدين مختار , من منشورات اتحاد الكتاب العربي, 1998م.
9. مقدمة في نظرية الأدب, تيري إيجلتون, ترجمة: أحمد حسان, القاهرة, 1991م.
10. نظرية الأدب, أوستن وارن ورينيه ويلك, تعريب: عادل سلامة, دار المريخ للنشر , الرياض, 1992م.
11. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي, عبد الناصر حسن محمد, المكتب المصري لتوزيع المطبوعات, القاهرة, 1999م.

List of sources and refences:

1. Horizons in artistic creativity a psychological vision, Ahmed Okasha, First Edition , Dar Al-Shorouk, Cairo, 2001.
2. Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani, Abbas Mahmoud Al-Akkad, Al-Asriya Library, Saida - Beirut, (d. T).
3. Psychological Attitude in Criticizing Arabic Poetry, Dr. Abdul Qadir Faydouh, Arab Writers Union Press, Damascus, first edition, 1992 AD.
4. Psychoanalysis of Masculinity and Femininity from Freud to Lacan, First Edition , Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon, 2004 AD.
5. Psychoanalysis and Literature, Jean Bellman-Noel, translation: Hassan Al-Moden, The National Project for Translation, 1997.
6. Psychological Interpretation of Literature, Dr. Ezz El-Din Ismail, Dar Gharib for Printing, 4th Edition, Cairo, (d. T).
7. On Literary Theory, Shukri Aziz Madi, First Edition, Dar Al-Natkheb Al-Arabi, Beirut - Al-Hamra, 1993 AD.
8. Introduction to Psychological Criticism Theory, Zaid Al-Din Mukhtar, from the publications of the Arab Writers Union, 1998 AD.
9. Introduction to Literary Theory, Terry Eagleton, translated by: Ahmed Hassan, Cairo, 1991 AD.
10. Literary Theory, Austin Warren and Renee Welk, Arabization: Adel Salama, Dar Al-Marikh Publishing, Riyadh, 1992.
11. Theory of communication and reading the literary text, Abdel Nasser Hassan Mohamed, The Egyptian Office for the Distribution of Publications, Cairo, 1999